الفصل الثالث

نشأة وتطور الكتاب المطبوع في العالم العربي

يرصد هذا الفصل الملابسات والأحداث المختلفة التى واكبت ظهور الطباعة في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي، ومن ثمَّ ظهور الكتاب العربي المطبوع. ولعل القارئ قد يتعجب من تناولنا لدور تركيا في نشأة الطباعة في الشرق الأوسط، ولكن لا داعي لهذا التعجب لأننا نتناول كل مطبوع بالحرف العربي.[56]

الكتاب العربى المطبوع في تركيا

لا شك أن ظهور الطباعة قد تواكب مع بداية عصر النهضة الأوروبية، حيث يشكل – أي ظهور الطباعة- أحد الإنجازات الفكرية، والحضارية، والثقافية في تاريخ البشرية جمعاء، وعلى الرغم من أن ساحة العالم العربي – الإسلامي عرفت سرعة سريان المعلومات عن طريق نسخ المخطوطات النادرة، إلا أن تداول تلك المخطوطات المنسوخة يبقى هو الآخر محدودًا في الزمان والمكان، إذا أخذنا في الحسبان مدى ارتفاع نسبة المتعلمين والقارئين في العالمين العربي الإسلامي.[57]

لم يكن فن الطباعة غائبًا عن المسلمين، فقد كانوا على دراية به وبأساليبه إن لم يكونوا قد مارسوه عمليًا في بعض الفترات في أشكاله البدائية، فقد واكبوا التحولات التي عرفها فن الطباعة منذ استخدام الألواح الخشبية حتى اختراع الطباعة بالأحرف المنفصلة، حيث ظهرت بعض المحاولات لدى المسلمين لإدخال مطابع إلى إيران، وربما المغرب، ففي أصفهان

كان المسلمون يعتزمون طبع كتبهم بالحرف العربي منذ القرن 11هـ/17م، حيث ذكر الرحالة الفرنسي جان شاردين أن العلماء المسلمين قدموا اقتراحًا لإدخال المطبعة بأصفهان إلى الشاه عباس الثاني 1052هـ/ 1624م- 1077هـ/ 1666م، والذي استحسن الفكرة وبدأ في تنفيذها، إلا أن المشروع سرعان ما توقف بعد وفاته وانتقال السلطة إلى ابنه صافي سليمان، الذي أهمل المشروع ولم يعره أي اهتمام.[58]

وقد عرفت تركيا الطباعة قبل غيرها من بلاد المشرق العربي، وبعد اختراعها بحوالي أربعين سنة، وعلى الرغم من تصدي سلاطين آل عثمان لها في أول الأمر، فقد مضت قدمًا في طريقها واستطاعت بعد كفاح مرير أن تفرض نفسها وتوطد أقدامها حاملة مشعل الحضارة والثقافة إلى أرجاء الإمبراطورية العثمانية.[59]

أما السبب الذي حدا بسلاطين آل عثمان إلى الوقوف في وجه المطبعة والتصدي لنشاطها فهو الخوف من أن يتعرض أصحاب الغايات والأغراض إلى الكتب الدينية فيحرفوها، ومن خلال استطلاع الأوضاع الاجتماعية التي كانت عليها الدولة العثمانية في ذلك الوقت نجد أنه كانت توجد أعداد كبيرة من الخطاطين والنساخ في مدينة إستانبول، وهو ما يعتبر سببًا اجتماعيًّا مهمًا في تأخير دخول المطبعة العربية إلى الدولة العثمانية، إذ ان الطباعة سوف تقضي على مهنة النسخ والخطاطة.

وعلى الرغم من اقتناع عدد كبير من كبار رجال الدولة والعلماء بفوائد الطباعة إلا أن التردد والخوف من ردود فعل العلماء المحافظين وحتى من العامة حال دون الاستفادة من خدمات الطباعة، بل حتى من استعمال الكتاب المطبوع في أوروبا، لذا أحجم المسلمون عن شراء كتب عربية مطبوعة في أوروبا مثل كتاب «القانون الثاني» في الطب لابن سينا الذي طبع في إيطاليا سنة 1593م.[60] ويمكننا القول إن اليهود المقيمين بالآستانة هم أول من أدخل فن الطباعة إلى تلك المدينة، فقد قدم إليها في أواخر القرن الخامس عشر أحد علمائهم ويدعى إسحق جرسون وأحضر معه مطبعة وحروفًا عبرية لينشر بها كتب الديانة

اليهودية المخطوطة التي كان يصعب الحصول عليها لقلة عدد الناسخين اليهود وارتفاع أسعار المخطوطات حيث يقول آورام غالانتى.[61] في الصفحة السابعة من مؤلفه «الأتراك واليهود» إن اليهود أتوا إلى تركيا من إسبانيا بمطبعتهم إلى تركيا عام 1492م.[62]

لقد استفاد اليهود من جو التسامح الديني السائد داخل الإمبراطورية للقيام بعدة أنشطة دينية، وثقافية، وسياسية برعاية الباب العالي، حتى عُرف القرنان 9-10هـ/ 15-16م بالعصر الذهبي لهذه الجالية. وكان السلطان بايزيد الثاني (1481م- 1512م) قد سمح لليهود المطرودين من إسبانيا بالاستقرار ببلاده، ووفر لهم كل الإمكانات الضرورية للعمل الثقافي والعلمي لفائدة جاليتهم؛ ومن قبيل ذلك أنه رخص لهم إقامة مطبعة سنة 899 هـ/1494م، على ألا يطبعوا كتبًا بالحروف العربية والاقتصار على الحروف العبرانية واللاتينية. كما أسس اليهود على أثر هذا القرار مطبعتين بكل من إستانبول وسالونيك في نهاية القرن 9هـ/ 15م، أي قبل قرنين كاملين من ظهور أول مطبعة عربية بالعاصمة العثمانية.

من ناحية أخرى خشي السلطان بايزيد الثاني أن يستفيد رعاياه من الاختراع الجديد، فما كان منه إلا أن أصدر أمرًا يُحَرم فيه على غير اليهود استخدام فن الطباعة، وكان لتلك المطبعة التي أحضرها جرسون أطيب الأثر في نشر الآداب العبرية وترقيتها، فقد استطاعت خلال ثلاثة قرون أن تطبع أكثر من مائة كتاب في مختلف العلوم والفنون بفضل عناية كبار رجال الطائفة اليهودية في الآستانة، وكان لهم نفوذ كبير عند أصحاب السلطان.

الأوضاع الثقافية والسياسية فى تركيا قبل تأسيس المطبعة

تطورت الحركة الثقافية في تركيا بشكل عام والأدبية منها بشكل خاص، حيث كان التوجه العام نحو الأدب.. وتأثر الأدباء الأتراك بالموضوعات الفارسية والأسلوب الفارسي، ثم الأدب العربي، وقد ظهر في هذا العهد الشغف باقتناء الكتب أيضًا، وأسست أربع مكتبات كبيرة ومهمة في إستانبول، وتم تزيين المدينة بقصور وأسبلة رائعة في جمالها،

وأطلق على عهد السلطان أحمد الثالث (1703م–1730م) عمومًا في التاريخ العثماني «عهد الخزامي» للدلالة على الانفتاح الذي حصل في هذا العهد، حيث انفتحت الدولة على الغرب لأول مرة، وحصل مع بعض الدول الغربية نوع من التبادل الدبلوماسي.[63]

لذلك بعد مرور أكثر من قرنين ونصف القرن على ظهور فن الطباعة، وبعد ازدياد الاتصالات بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية على جميع المستويات، أصبح المناخ مناسبًا لإدخال فن الطباعة العربية إلى الشرق والاستفادة من العلوم الحديثة، وقد كانت هناك عدة عوامل تفسر تغير المناخ السياسي، والاجتماعي، والثقافي، في اتجاه الإصلاح ومن أبرزها:

1- الهزائم العسكرية التي مُنيت بها الدولة العثمانية أمام روسيا والنمسا في بدايات القرن الثامن عشر، والتي دفعت بالباب العالي إلى عقد اتفاقيات سلام، والدعوة إلى الإصلاح فكان من سبل هذا الإصلاح رفع القيود عن الحريات ومنها الطباعة.

2- إنتهاج السلطان أحمد الثالث سياسة سلمية مع الدول الأوروبية وتشجيعه على تنشيط الحركة الفكرية والعلمية، فأسس المكتبات وشجع العلماء على الدراسة والتأليف.

3- رسائل سفير الدولة العثمانية في باريس عن فوائد الطباعة، فلقد عرفت الدولة العثمانية المطبعة العربية بفضل مسعى سعيد أفندي ابن سفير تركيا وكان سعيد أفندي، الذي أصبح فيما بعد صدرًا أعظم، بصحبة أبيه في العاصمة الفرنسية، فشاهد المطابع ولمس منافعها العديدة عن قرب، فلما عاد إلى الآستانة بادر بالاتصال برجال الأدب، والعلوم، والفنون وفاتحهم في أمر إنشاء مطبعة فرحبوا جميعًا بالفكرة.

4- لعبت العلاقات بين الأقليات المسيحية داخل الإمبراطورية العثمانية وخارجها دورًا مباشرًا في إدخال المطابع إلى تركيا، حين قام بطريرك أنطاكيا «أثناسيوس الثالث دباس» بتأسيس مطبعة في بوخارست في عام 1701م، ونجح في نشر كتابين عن الديانة المسيحية.

إبراهيم متفرقة وجهوده في إنشاء المطبعة

ولد إبراهيم متفرقة عام 1085هـ /1674م[64] في مدينة (قولزوار)[65] المجرية، الواقعة في ترانسلفانيا، وكانت تسمى (أردل) في عهد الدولة العثمانية، ونشأ في كنف أبوين على مذهب «التوحيد» أو «الوحداني» البروتستانتي.

وبحسب المصادر المختلفة، فإن إبراهيم متفرقة من أصل مجري، ينتمي إلى المذهب البروتستانتي. أسر في المعركة التي جرت بين الدولة العثمانية والمجر من ناحية وبين النمسا من ناحية أخرى في عام 1693م، ثم انتقل إلى استانبول حيث أشهر إسلامه مجبرًا، وأطلق على نفسه اسم «إبراهيم»، ولما كان رجلاً ذكيًّا ونشيطًا فقد ألمَّ باللغة التركية ومبادئ الدين الإسلامي في عدة سنوات.

إلا أن السواد الأعظم من الباحثين المعاصرين يرى أن تلك القصة ملفقة من قبل راهبين، أحدهما كان معاصرًا لإبراهيم متفرقة، وهو «دوسوسوار»، أما الثاني الذي أتى بعده فهو «قرة جون».

لكن إذا نظرنا إلى نشأة إبراهيم متفرقة، فنجده قد نشأ في بلد كان يتمذهب جل أهله بعقيدة التوحيد، وقد انتشر هذا المذهب في «أردل» في أواسط القرن السادس عشر الميلادي، ودخل أكثر الأهالي فيه، ونشأ بعد ذلك صراع شديد بين الكاثوليك والموحدين، كان سينتهي لصالح الموحدين، لولا انتهاء الحكم العثماني للمجر عام 1091هـ/1680م وانتقال الحكم فيها للكاثوليك الذين اتبعوا سياسة التنكيل ضد البروتستانت، وبشكل خاص ضد الموحدين، وذلك عام 1099هـ/1688م، فضغطوا على الأهالي في «أردل» ليدخلوا في مذهب الكاثوليك، وقد نهبت أموال المعارضين المصرين على موقفهم؛ فإبراهيم متفرقة الذي نشأ في «أردل» وشاهد الصراع الشديد بين المذاهب النصرانية، قد حدد موقفه من تلك المذاهب بتوجهاته العلمية والفنية. ولا يتصور أن يكون متفرقة الملم بأنواع من العلوم والمعارف متمذهبًا بمذهب معارض لآرائه العلمية معارضة شديدة وخاصة إذا علمنا أن الرهبان في ذلك الوقت كانوا ألد أعداء

المطبعة، كذلك قام إبراهيم متفرقة بكتابة «رسالة إسلامية» بالتركية دافع فيها عن القرآن وفسر سبب اعتناقه الإسلام. كما فند في رسالته المذهب الكاثوليكي. وأكد أن النصر النهائي سيكون للإسلام بما أن هذا الدين تنبأ به سيدنا عيسى عليه السلام على أنه دين العالمين.

يعد إبراهيم متفرقة وهو رجل أدب، وعلم، ودبلوماسي، من أبرز رواد حركة الإصلاح في الدولة العثمانية في القرن 12هـ/18م. كان إبراهيم متفرقة رجلاً عالمًا ذكيًّا يجيد اللغات التركية، والعربية، والفارسية، واللاتينية، بالإضافة إلى لغته الأم أي المجرية. درس الرياضيات، والعلوم، والفنون وسرعان ما أصبح متبحرًا في العلوم والآداب ولقب بسبب ذلك بـ «متفرقة» أي متعدد المواهب، وهو لقب يطلق على رجال الفكر والعلم بالسرايا ممن بلغ درجة عالية من المعرفة. تقلد مناصب مختلفة بالإدارة العثمانية، حتى كلفه الباب العالي بمهام سياسية ودبلوماسية سامية وأصبح مستشارًا ومبعوثًا خاصًا للسلطان، وأجرى مفاوضات دبلوماسية سامية خاصة مع النمسا وروسيا عام 1127هـ/1715م، وفي فيينا عام 1128هـ/1716م وفي سنة 1132هـ/1720م عين ضابط اتصال ومترجمًا لدى الأمير المجري راكوزي، ثم اشترك مع أحمد باشا بونفال في إعداد مشروع تحالف عثماني سويدي ضد روسيا في 1156هـ/1743م.[66]

وتأسيسًا على ما سبق ذكره عن إبراهيم متفرقة، فإنه كان على دراية كبيرة بالتقدم الذي حققته أوروبا في عدة ميادين فنية وعلمية. مما بعث فيه الحماسة لإدخال بعض الاكتشافات الجديدة إلى الإمبراطورية العثمانية مؤكدًا أنه يجب التمييز بين الديانة المسيحية التي لا تفيد المجتمع الإسلامي وبين العلوم الحديثة بأوروبا التي ستعود بالنفع على المسلمين، وأنه لا تعارض بين العلم والإسلام. وبهذا الفكر التحرري المنفتح على أوروبا اهتم إبراهيم متفرقة بمشروع إقامة مطبعة بالحرف العربي باستانبول،[67] وقد سنحت الفرصة في السنوات الأخيرة من وزارة الصدر الأعظم إبراهيم باشا داماد،[68] وكان من المقربين إليه حيث حصل على موافقته، ووجد كل تشجيع من لدنه لإتمام مشروعه.[69]

تأسيس المطبعة

ترجع بداية عهد إبراهيم متفرقة في الطباعة إلى أيام دراسته في الكلية التنصيرية في (قولزوار) حيث تعلم في كنيسة كلفينية بها فن الطباعة، وذكر باحث آخر أنه تعلم هذا الفن في (قولزوار) عام 1689م على يد أشهر نحات في ذلك الوقت وهو الطابع الشهير «ميخائيل مستوتفالوسي كيس» الذي أنشأ أهم مطبعة للمذهب الوحداني في المدينة المذكورة. وكان إبراهيم متفرقة آنذاك طالبًا في كلية اللاهوت.[70]

أعد إبراهيم متفرقة بالتعاون مع سعيد شلبي مشروعًا لتأسيس أول مطبعة إسلامية بالحرف العربي في العالم ويكون مقرها استانبول، هذا بالإضافة إلى «رسالة وسيلة الطباعة». وقد عرضا في مشروعهما الإجراءات العملية لإقامة المطبعة، وبالخصوص تحملهما لكل المصاريف التي تتطلبها. وقد قدما بالإضافة إلى نص المشروع، بعض العينات من النصوص المطبوعة بالحرف العربي للصدر الأعظم الذي استحسن الفكرة ونقل كل الوثائق إلى شيخ الإسلام وبعض العلماء المقربين للسلطان، وهؤلاء وافقوا على المشروع وكتبوا تقاريظ على «رسالة وسيلة الطباعة» كما أصدر شيخ الإسلام فتوى يجيز فيها طبع الكتب، ماعدا تلك المتعلقة بالشريعة والفقه الإسلامي، وهذه الفتوى كانت أكبر سند قانوني للمشروع عند عرضه على أنظار السلطان أحمد الثالث الذي وافق عليه وأصدر «خط همايون»[71] بتاريخ 15 ذي القعدة 1139هـ/1726م، يرخص فيه لإبراهيم متفرقة وسعيد شلبي بإقامة مطبعة بالحرف العربي في استانبول، وقد أرفق هذا الأمر بنص فتوى شيخ الإسلام على استعمال هذا الاكتشاف وإقناع الرعايا بمزاياه وخاصة المحافظين منهم، وكذلك فعل صاحبا المطبعة اللذان نشرا في أول كتاب يصدرانه نصوص «خط همايون»، و«الفتوى»، و«رسالة وسيلة الطباعة» وتقاريظ العلماء عليها. وبهذا الإجراء ضمن الباب العالي كل ظروف النجاح للمشروع إذ إن الفقهاء، والعلماء، والسلطان أيدوا هذا الاكتشاف ووافقوا على استخدامه وتفادوا في الوقت نفسه كل معارضة من طرف المحافظين، مثلما حدث ذلك في سنة 997هـ/1588م عند محاولة بيع كتب أوروبية مطبوعة بالعربية.[72] (شكل 15)

لقد اتجهت المطبعة نحو طبع كتب غير متعلقة بالفقه والشريعة، بناء على فتوى شيخ الإسلام وقرار السلطان أحمد الثالث؛ فاختارت بضعة مجالات معرفية للتركيز عليها، فكان أن نشرت كتبًا في الجغرافيا، واللغة، وفنون الحرب، والتاريخ وهذا المجال الأخير احتل النصيب الأكبر في منشوراتها، حيث بلغ قدر ما نشر عنه ثلاثة عشر كتابًا من جملة عشرين. والغرض من هذا الاختيار هو إبراز أمجاد سلاطين بني عثمان وتدعيم شرعيتهم التاريخية، بالإضافة إلى أن القائمين على إدارة المطبعة كانوا يروجون بالأساس بعض الأفكار الإصلاحية، منها الدعوة إلى التفكير في أسباب الهزائم وانقراض الدول السابقة، فكانت المطبعة بمثابة منبر لدعاة الإصلاح للتعريف بآرائهم الإصلاحية والدعوة للانفتاح على الغرب. لذلك فإن المطبعة مؤسسة أنشأها ورعاها رجال السياسة لخدمة الباب العالي سياسيًّا أكثر من خدمة الرعية ثقافيًّا وعلميًّا.

لكن المطبعة لقيت في أولى سنين عملها بعض التخبط وعدم الاستقرار، ذلك أن المسلمين لم يهتموا بما تصدره المطبعة من كتب ثقافية، أو تاريخية، ذلك أنه كما نعلم كان محظورًا على المطبعة إصدار أي كتب خاصة بالشرع أو الفقه الإسلامي؛ فالمسلمون بقوا متعلقين بالكتابة بخط اليد، ولم يكن من السهل تغيير عاداتهم القرائية في وقت قصير من طرف مطبعة واحدة مهما بلغ نشاطها. بل إن هذه المطبعة الوحيدة بقيت ظاهرة منعزلة وغريبة عن الإطار الثقافي والعلمي للإمبراطورية، ونظرًا لضعف رواج الكتاب المطبوع، فإن المطبعة لم تستطع أن تشع على الحياة الثقافية في المشرق الإسلامي إلا قليلاً. لم يستمر هذا التخبط وعدم الاستقرار لمدة طويلة حيث بدأت المطبعة تدريجيًّا غرس تقاليد جديدة لدى المتعلمين المسلمين تتمثل في استخدام الكتاب المطبوع والتعامل مع إنتاج المطابع. وقد جاء ذلك نتيجة اقتناع وتفهم المستفيدين بأهمية فن الكتابة الجديد في التقدم العلمي والثقافي للمجتمع الإسلامي.

أسباب الوقوف في وجه إنشاء المطبعة

نفى الباحث «نيازي بركس» حصول اعتراض من العلماء على إنشاء المطبعة، مستدلاً على ذلك بعدم وجود أي قيد أو وثيقة في هذا الشأن. كما رد على مقولة كاتب غربي

يعزو أخير دخول المطبعة في الدولة العثمانية إلى العلماء الذين كانوا يرون في ذلك خطرًا على الأمن العام وعلى المعاملات الدينية على النحو الآتي: «ليس هناك من دليل في اعتراض العلماء للفن الجديد؛ بل إن شيخ الإسلام قد أصدر الفتوى فورًا، وكتب اثنا عشر شخصًا من العلماء تقاريظ على الكتاب، ولم يذكروا في تلك التقاريظ شيئًا حول

(شكل 15) الطلب الذى تقدم به إبراهيم متفرقة لتأسيس المطبعة.

معارضة الشريعة للمطبعة. كما أن تعيين أربعة مصححين ثلاثة منهم قضاة والآخر شيخ طريقة، يدل على عدم معارضة العلماء لذلك».

ثم قام نيازي بركس بتعديد أسباب الوقوف ورفض إنشاء المطبعة في بادئ الأمر:[73]

1- كان لابد من وجود تقدم تقني في بعض الجوانب للبدء بالطباعة وتسيير أمرها،

2- كان ينبغي إنتاج كمية كافية من الورق، لتسيير أمور الطباعة.

3- كان ينبغي وجوده عدد كافٍ من القراء لتغذية فن الطباعة، إذا نظرنا إلى الأوضاع في تلك الفترة.

قام الدكتور سهيل صابان بتفنيد تلك الأسباب، حيث ذكر أن اعتراض العلماء على إنشاء المطبعة العربية كان واردًا، في حين أن القول بعدم وجود كمية كافية من الورق لتسيير أمور الطباعة يعتبر أمرًا غير مقبول، لأن الظروف الاقتصادية للدولة العثمانية في ذلك الوقت (القرنين السادس والسابع عشر) كانت كفيلة بتوفير الورق، وإنتاج الكمية الكافية منه، يضاف إلى ذلك أن النفوس بعدما تهيأت لقبول فن الطباعة بمدة طويلة، لم ير العلماء بأسا من طبع الكتب الشرعية، استنادا إلى القضية الفقهية «الأمور بمقاصدها»، حيث قاسوا عملية الطبع على عملية التجليد.[74]

رسالة «وسيلة الطباعة»

ذكر إبراهيم متفرقة في رسالته المعروفة بوسيلة الطباعة – المنشورة في ديباجة المجلد الأول من «قاموس وان قولي» (وهي أربع صفحات ونصف الصفحة، كل صفحة تتكون من 34 سطرًا) – فوائد المطبعة وأهميتها في حياة الشعوب، وأوضح كيف أهمل اليهود والنصارى نشر كتبهم الدينية، وبيَّن أن المسلمين على العكس منهم اعتنوا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وضبطه، ثم تحدث عن ضياع كتب كثيرة في أيام «جنكيز خان» و«هولاكو»، وفي أثناء وقوع الأندلس في يد الأوروبيين، وعدم بقاء من يقوم من الخطاطين أصحاب الهمم العالية بنسخ الكتب الكبيرة، وأن ما كتبه الخطاطون الآخرون قد امتلأ

بالأخطاء، مما يؤدي إلى ضياع العلوم والمعارف، وأن كثيرًا من نسخ الكتب النادرة ضاعت في الحرائق التي تنشب بين حين وآخر في (إستانبول)، وأن طلبة العلوم عاجزون عن توفير الكتب المقررة عليهم، كما أن تلك الكتب المخطوطة باهظة الثمن... الخ.[75] (شكل 16)

وقد أراد إبراهيم متفرقة أن يشرع في التعريف بالطباعة، فأجمل فوائدها على النحو التالي:[76]

1- إن إتاحة بعض الكتب المهمة للخواص والعوام بكثرة أمر مفيد.

2- إن طبع آثار المؤلفين يؤدي إلى إحيائها ونشرها بين المسلمين.

3- بما أن خطوط الكتب (المطبوعة) مقروءة، وواضحة، وجميلة، فإن ذلك سوف يسهل الأمر على المعلمين والمتعلمين. كما أن حبر الكتب المطبوعة ثابت لا يتأثر بالماء مثل الكتب المخطوطة.

4- الطباعة عمل مربح، وتكلفة مجلد واحد (من الكتاب المخطوط) تساوي آلاف الكتب (المطبوعة)، وبذلك تنخفض أسعار الكتب ويستفيد منها الجميع.

5- إمكانية البحث عن الموضوع المطلوب في تلك الكتب بسهولة، حيث تزود بفهرس مجمل في بداية الكتاب وفهارس مفصلة في نهايته.

6- تخفيض أسعار الكتب يكون سببا لقيام الشعب في المدن والقرى النائية بالاستفادة من الكتاب (والإقبال عليه).

7- إمكانية تأسيس مكتبات كبيرة في المدن (وبالتالي) يتزايد عدد طلاب العلم.

8- وكما أن الدولة العثمانية رفعت من شأن الأمة الإسلامية بالجهاد، فإنها سوف تخدمها حين تقوم بنشر الكتاب.

9- يعرف الأوروبيون قيمة الكتب العربية، والفارسية، والتركية، فيقومون بطبعها. إلا أن الكتب التي يطبعونها مليئة بالأخطاء، ويستعملون الخط المغربي، ويقومون بتقليده،

وذلك الخط خالٍ من أي أثر للزينة والحسن. وهو مبني على الخطأ. ويحتمل أنهم في المستقبل إذا وجدوا المؤهل لذلك سوف يطبعون المؤلفات الشرقية بشكل واضح وصحيح، ويرسلونها إلى البلاد الإسلامية. ويجلبون بذلك الأموال من المسلمين. فكما أن المسلمين فاقوا الكفار في كل النواحي فينبغي أن يتقدموا عليهم في هذه الناحية أيضًا.

10- ومع أن موضوع هذه الصنعة قد نوقش بين الوزراء (فيما سبق) إلا أن صعوبة هذا العمل لم تتح الفرصة لتوافر المؤهلين له. ولذلك لم توجد إمكانية لتحقيقه. أما الآن فإن الإمكانات لوجود المطبعة متوافرة. وطبع الكتب التي يحتاج إليها العالم الإسلامي سوف يزيد من شأن وشرف الدولة.

فرمان السلطان أحمد الثالث

ذكر السلطان أحمد الثالث في الفرمان الذي أصدره سنة 1139هـ/1726م بناءً على طلب «سعيد أفندي» و«إبراهيم متفرقة»، أنه أجاز لهما ممارسة مهنة الطباعة وإنشاء المطبعة، لكونها تؤدي إلى نشر العلوم والمعارف بين أفراد الأمة الإسلامية وإصدار كتب علماء الدين المبين وحفظها وصيانتها، حيث تعرض كثير من الكتب النادرة إلى التلف والإحراق والضياع أيام «جنكيز خان» و«هولاكو» وهجوم الإفرنج على الأندلس والمعارك التي جرت بين حين وآخر، كل ذلك يجعل إنشاء المطبعة واجبًا ولا بأس بالشروع أول الأمر في طبع قاموس «وان قولي» نظرًا لرغبة طلبة العلم فيه، وكونه كتابا ضخما، لا يستطيع المستنسخون القيام بنسخه. وأشار في الفرمان أيضًا إلى السماح بطبع الكتب جميعًا ما عدا «كتب الفقه، والتفسير، والحديث الشريف، وكتب علم الكلام».[77] (شكلا 17، 18).

مطبوعات إبراهيم متفرقة

تم طبع سبعة عشر كتابًا في زمن إبراهيم متفرقة (خلال أربع عشرة سنة)، مجموعها اثنان وعشرون مجلدًا، وحسب رأي بعض الباحثين ثلاثة وعشرون مجلدًا، وذلك لأن

تاريخ راشد قد وجد في بعض المكتبات ثلاثة مجلدات وكانت موضوعات تلك الكتب على النحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين — الرسالة المسماة بوسيلة الطباعه

وقتما كه اقتضاى مشيت ربانى ومقتضاى ارادت صمدانى برامت وجماعتى وبارقوم وبارشخصى برمرد ايله كامياب
وبرخيرايله ممتاز وسرافراز قلمغه تعلق ايلسه اول مرادك كثم عدمدن خروجنه واول خيرك منصه وجوددنه
ظهورينه باعث وبادى اولان اسبابى كال عنايتدن خلق ايدوب قولرينك منافعى ايجون حاضروميسر قيلمغه
عادت سبحانى جارى اولمشدر بوكا يل اللسان قليل البضاعه عبد عاجز بنده ثاجيز المحتاج الى رحمة ربه العزيز
بعض السمنه ولعاته فى اجمله وقوف تحصيل ايتمك حسبيله سركذشت بنى دمه واحوال امم سالفه يمكنت
عاجزانه مرتبه سى تحصيل اطلاعه راغب وساعى وكتب تواريخ دول سالفه واصحاب اديان مختلفه دن بمقدار
استقرا وتتبعه اشتغال برله خاطر فاترمو رمقدار ملايح وفكر واندیشه پرتقصيره شوبله سانح اولديكدد ول
مختلفه سابقه ولاحقه ده موجود اصحاب رشد وزكا وارباب عقل ودها سالك اولدقلرى مذاهبك حفظ
واشتهارينه وبولندقلرى دولت وسلطنتك غلبه وناموس وتعظيم شانه ونظام مهام سنه باعث وبادى
الات واسباب اولدركه تشبثاره ودوام وقيام اتفاق واجتماعلرينه وسيله اولان منهاج قويمه سعى وسلوكيله
مأثر محموده واثار جميله ابداع واختراع وتحصيلنده دقيقه فوت ايتمكه جوازويرمشلردر فلاجرم متأخرين دنى
متقدمينك ثرنه سالك اولوب فى زماننا موجود دول وملل مختلفه عالم كاملرى قوانين نظام مصالح امت
ووسيله انتظام دولم دولت ورابطه حفظ وبقايت ملك وملت اولان اسبابى تبدل وتغيردن حمايت وصيانت
ومجمع اولدقلرى دين واينى منسوخ وعاطل وباطل دخى اولورسه حق اولمق ايجون تكثير كتبه طرينى اهون واعتقاد ايله قوانين
وقواعد ملل ودولى مرور اعوام وكرور ايام ايله سهو ونسيان خطرانندن امين وتبدل وتغير وفناطريانى
مهلكه سندن سالم اولمق ملاحظه سيله كاغد سنك وحجر وكاغ نحاس وحد بددن معمول صحيفه لرده قازوب
ثبت وقيد ايله كلدكلرندن ماعدا نشر وشيوعيله علم ومعرفتنه مدار اولمق ايجون تكثير كتبه طرينى اهون واعتقاد ايله قوانين
واختراع ايلشلردر بوخصوص تحديق بصر ومعان نظر ايله فكر ومطالعه اولنسه خيراندن جميع امم وافضل
مجموع دول عالم اولان دين ودولت اسلامده وسيله قيام ودوام شان دولت وموجب نظام مهام امت وسبب
تفسيح ملك وملت وباعث غلبه وشوكت سلطنت اولان قواعد وقوانين ضبط وربط واسباب انتظام امور
امت تبدل وتغيردن حراست وبو اجماع امت تفرقه واختلالدن وقايت وعلوم وفنون مرغوبه سهو
ونسياندن الى يوم القيام حفظ وصيانت اولمق قصدى وعزيمتيله قلم زمردين ايله لعل وياقوت وذهب
وسيمدن مصنوع لوحه لرده ياز يلوب وقاز يلوب ثبت وقيد اولمغه من كل الوجوه شايان وتكثير كتبيله علوم
شريفه وفنون مرغوبه نك عالمده نشرينه همت وبوطريق ايله عامه اهل ايماله امداد واعانت شايسته ايدبكى
بالبداهه عيان ومستغنى عن البيان اولدقده اشرف مساعى واحسن صنايع اولان بوصمه كتب حرفت وصنعتى
اشبو مقصوده موصل برطريق جاده وبرواسطه مستقيمه ايدوكنه بناء بوامردى شانك مقتضى اولدوغى
منافع لاتحصى دن منظور خاص وعام اولمق ايجون بر بنده لرينه امر واشارت اولنسه لايقدر بوصمه كتب اوزرينه
ترتب ايدن منافع وفوائد بيانده دقتوار ايتمام سالفه ايله استنا اولان اولى الابصار خفى وپوشيده دكلدركه
بنى اسرائيل قومى كتب منزله دن امتثاليله مأمور اولدقلرى تورات شريفى حفظ واوزرايدكلرى التزام ايتيوب
حفظ واتقا فى عهده متلرينه لازم ايكن ضبطندن تقصير واهمال ايتدكلرندن غيرى كرك تورات شريف وكرك
سائر كتب معاملات استنساخيله يادى ناسه وصولو وبوطريق ايله اطراف واكنافه نشر وشيوعه اهتمام
ايتيوب مجرد بيت مقدسده حفظ ايتملرينه فتنه بخت النصر طهور ايله بلدكده اول ظالم بركشته بخت بنى اسرائيله
استيلاء كلى له بيت مقدس تخريب ودرون تابوت سكينه ده مختوم ومحفوظ كتبى وتورات شريفى نار ايله

(شكل 16) رسالة وسيلة الطباعة.

- أحد عشر كتابًا في التاريخ.
- ثلاثة كتب في اللغة.
- ثلاثة كتب في علوم نافعة، مثل الجغرافيا، والمغناطيس، والجيش.

وكان عدد نسخ تلك الكتب 13200 نسخة، فقد طبع منها 1200 نسخة وبعض آخر 1000 نسخة، وبعض ثالث 500 نسخة؛ وإذا أردنا توزيعها على السنوات يظهر أنه طبع بشكل متوسط 1.2 كتاب في السنة الواحدة، أي 850 نسخة.

وفيما يلي مجموعة الكتب التي أصدرها متفرقة في مطبعته، حيث أصبحت تلك الكتب بواكير الطباعة التركية بالحرف العربي:

1- ترجمة الصحاح للجوهري: قاموس «وان قولي»[78] (مجلدان من القطع الكبير). (أشكال 19، 20، 21)
2- تحفة الكبار في أسفار البحار لكاتب جلبي.
3- ترجمة تاريخ سياح (أفغانستان) لطابع الكتاب (إبراهيم متفرقة).
4- تاريخ الهند الغربي المسمى حديث نو.
5- تاريخ تيمور كوركان لنظمي زاده البغدادي.
6- تاريخ مصر القديم والجديد لسهيلي (مجلدان).
7- كلشن خلفا لنظمي زاده البغدادي.
8- جرامر تركي لطابع الكتاب (إبراهيم متفرقة).
9- أصول الحكم لنظام الأمم لطابع الكتاب.
10- فيوضات مغناطيسية.
11- جهاننما لكاتب جلبي.

12- تقويم التواريخ لكاتب جلبي.

13- تاريخ نعيما (مجلدان من القطع الكبير).

14- تاريخ راشد (مجلدان من القطع الكبير).

15- تاريخ جلبي زاده عاصم أفندي.

16- أحوال غزوات دردبار بوسنة.

17- لسان العجم المسمى فرهنك شعوري (مجلدان من القطع الكبير).

خصائص مطبوعات متفرقة[79]

كانت تلك الكتب التي صدرت في مطبعة متفرقة خلال مدة أربعة عشر عامًا (1141–1155هـ/1729–1742م)؛ ومع أن متفرقة هو منشئ المطبعة، إلا أنه لم يكتف بإنشاء المطبعة فحسب، بل عايشها أيضًا. فقد اختار المؤلفات التي طبعها، وترجم بعضا منها، وألحق مقدمات، وخواتم، وملاحق وفهارس لبعضها، كما عمل خرائط بيده ونحت حروفًا، واشتغل بالأمور الفنية للمطبعة بنفسه، وتظهر خصائص كتب متفرقة في النقاط الآتية:

- خلوها من الأخطاء الإملائية والمطبعية بالمقارنة بالكتب التي طبعت بعد وفاته. فقد ظهرت الكتب التي طبعت بعد وفاته بيد خلفه القاضي «إبراهيم أفندي». والكتب التي طبعت في المطبعة نفسها أيضًا بعد عام 1198هـ تحتوي على أخطاء إملائية ومطبعية. ولهذا فإن السمة البارزة لمطبوعات متفرقة إضافة إلى كونها بواكير الطباعة العربية في الدولة العثمانية، هي خلوها من الأخطاء المطبعية.
- كتابة المقدمات أو الملاحق والتذييلات لها، أو بعمل الفهارس التفصيلية، مما يجعله في مصاف المؤلفين البارزين في عصره، ولعل قراءة المقدمة التي كتبها لـ «كلشن خلفا» وتقديمه بعد ذلك نبذة عن كل كتاب خير دليل على أسلوب متفرقة في الكتابة ونموذج حي على ذلك.

(شكل 17) فرمان السلطان أحمد الثالث وفتوى شيخ الإسلام بالموافقة على تأسيس المطبعة.

(شكل 18) الصفحة الأولى من خط همايون.

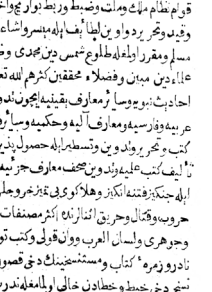

- استخدام الحروف نفسها في جميع الكتب، ما عدا الكتاب الأخير وهو (فرهنك شعوري)، فيظهر فرق طفيف فيه.
- الاهتمام بتجليد تلك الكتب، فمع مرور أكثر من قرنين ونصف القرن على تلك الكتب فإن تجليدها مازال فاخرًا، محافظًا على الأوراق التي بداخلها.
- الورق المستخدم فيها قوي وهو مصقول، والظاهر أنه ورق أوروبي.
- وضوح الخط المستخدم في هذه المجموعة وسهولة الاستفادة منها حتى أيامنا هذه.
- وضع عنوان لكل كتاب، وإن لم يكن ذلك على الغطاء الخارجي للكتاب، أو أول صفحة منه، حيث كان متفرقة يخصص الصفحات الأولى من كل كتاب (بشكل عام) لكتابة مقدمة له، أو ذكر الكتب التي طبعها.
- ذكر سنة طبع الكتاب ومكانه في نهاية كل كتاب، مثل الكتب المخطوطة.
- اتباع نظام ترقيم أوراق الكتاب، مثل المخطوطات، لا مثل الكتب الحديثة (الصفحات).
- كان حجم بعض الكتب المطبوعة كبيرًا وبعضها الأخرى صغيرًا، ولم يتبع متفرقة في ذلك منهجا موحدًا.

وفاة إبراهيم متفرقة[80]

كان مرض إبراهيم متفرقة عام 1156هـ/1743م سببًا لتوقف نشاط المطبعة. فلم تنشر في هذه السنة ولا التي تليها أي كتاب، وقد توفي متفرقة عام 1158هـ/1745م عن عمر يناهز السبعين عامًا. وتذكر بعض المصادر أن وفاته كانت عام 1157هـ/1744م وذلك بالاستناد إلى البيت الذي يقول: «بصدي إبراهيم أفندي صحن فردوسه قدم» فهي تعني حسب حساب الجمل 1160هـ، ونظرًا لأن شاهد القبر نصب على قبره بعد ثلاث سنوات من وفاته، فالتاريخ الصحيح لوفاته —حسب ذلك— هو عام 1157هـ. وكان عمره آنذاك ستة وسبعين عامًا أو سبعة وسبعين. وعلى هذا يكون التاريخ الصحيح لميلاده هو عام 1670 أو 1671م.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

حمدبی حد وثنای لایعد اول منشئ دواوین اکوان ومبدع صنایع امکان جل شانه وعم نواله حضرتلرینك
درکاه احدیت وبارکاه صمدیتنه حقیق وسزایاندرکه صحف نه جلد چرخ برین کتاب بسطور صنع ناطق وری
شرحندن طقوز ورقلی بردفتر وطباق سبع ارضین کتب قیمهٔ آثار قدرتنده برفهرس هفت برك کتر اولوب
ایات بینات ملکوت وترجمهٔ اسرار جبروتی اقلام اشجار ایله صحایف اوراق والواح ازهار اوزره ثبت وتحریر
اولنمشدر وجواهر درود متعاقب الورود اولوب واتمه رموز نسخهٔ وجود وشارح متون اسرار شهود حبیب
خدا رسول کبریا اعنی به حضرت ابی القاسم محمد المصطفی علیه افضل التحایا حضملرینك نثار روضهٔ پاك
وحجره ثابتناکاری اولیسون که کتاب کریم وحی ورسالت خاتم نبوتلر ایله مختوم واسرار الغیب سروحدت نطق
سترینه فلر ایله معلوم اصحاب فهوم در صلوات الله تعالی علیه وعلی اله الاطهار واصحابه الاخیار ماتعاقب اللیل
والنهار امابعد بوکتاب مشکین نقاب وخطاب مستطابك تحریرنه باعث وبادی اولدرکه صفحه
طرازان جرایدا خبار وقایع نویسان صحایف آثار تباشیر صبح ظهور فائض النور شعاع شرع محمدی علیه اکمل
التحایادن الی یومنا هذا منتظم سلك سنین وشهور واولان ایام محدث آثار وازمان سعادت شعاری شرفها
الله تعالی بالنفحات القدسیه طور ابعد طور عد وشمار وفصول وابواب کبی طبقه طبقه اعتبارا بدوب هر
کل صد برك مائه کامله بی برقرن صحیح اولمق اوزره بدایهٔ دست استهار ایتشلردر وقتله صفحات ادوار وصحایف
روزکار اوزره کلك حکمت ونعامهٔ قدرت ایله سطور عبرت مسطور مائت سنین رسم وتسطیر اولنه رق
نوبت تحریك قلم بسطر دلکش اثر قرن ثانی عشره رسیده اولوب بوکلنقش دلپذیر بدایهٔ جریده ظهور اولدی
جناب نسق سازکارکاه جهان وشیرازه بندنه کتب اسمان جل شانه وعم نواله حضرتلری اقتضای حکمت علیه
وسبق عنایت ازلیه ایله تجدید قواعد دین مبین واحیای سنن فخر المرسلین ایجون علی وفق العاده اسباب
خیر وصلاحی اماده ایدوب بوسنحهٔ صدد انه ثمرن سعیدك امامهٔ عنوان وفاتحهٔ سره غراسن بروسطة العقد
سلك اللال عز واقبال وشمس القلادهٔ وشاح الصدر جاه وجلال شهریار جلالت مدار وپادشاه بلند
اقتدارك مطلع خلافتلر ایله مشرف قلمق مراد ایلدی طلوع بدرقهٔ مهر توفیق وظهور نجم هدایت رفیق ایله
اواخر قرن حادی عشرده اول شهنشاه فلك دستکاهك کوکب سعید وجود مسعودی اوج شهوددده جلوه کر
وأوائل قرن ثانی عشرده ذات همایونلری پیرایه بخش سریر وافسر اولوب اسم سامیلر ایله روی دینار ودرم
پرزیب وفر وجواهر ثمینهٔ القاب همایونلر ایله رؤسی منابره السنهٔ خطبا درج الدرر اولدی یعنی چون
نوبت خلافت روزافزون عثمانی وعطیهٔ کبرای وراثت تخت سلیمانی اول خلاصهٔ دودمان خلافت ونقاوه
خاندان سلطنت صاحبقران دورزمان طلسم دخمهٔ امن وامان مظهر تأییدات حی وقیوم مولی ملوك العرب
والعجم والروم الاوهو السلطان الاعظم ابن السلطان المعظم ابوالفتوح والمغازی السلطان الغازی احمد خان
ابده الله الملك المنان حضرتلرینك شرفصدور باب دولتلری اولمق میسر ومقدر اولدی ابتدای جلوس همایون
میمنت مأنوسلرندن برو پیرایهٔ کتابهٔ روزکار اولمغه شایان پیچه معالی امور ومصالح جمهور جلوه کر مجلای
ظهور اولمشدرکه عشر معشاری محاط نطاق بیان وکنجایش پذیر حوصلهٔ امکان دکلدر چون ادوار سنین

هجرت

(شكل 19) الصفحة الأولى من قاموس «وان قولي».

الثن حركته كتورمك بقال انغطه صاحبه وانغاط مجامعته حريص اولغه دخى ديرلر بقال انغفت الدابه اذا فحت حياها مرة وقبضته اخرى النكظ فتحتينله عجله معناسنه بقال نكظ الرجل من الباب الرابع الانكاظ همزه نك كسر يله عجله ايندرمك بقال انكظه غيره اى اعجله عن حاجته التنكيظ على وزن التكريم كذلك عجله ايندرمك بقال نكظه تنكيظا فصل الواو الوشيظ واوك فتحيله وشينك كسر يله ومد يله شول ملايم كمك يارسيدركه بركمك اوجنده اولوركه اكا كمورنلك دخى ديرلر ووشيظه اجنبى اولنه دخى ديرلر يقال بنوفلان وشيظة فى قومهم اى هم حشو فيهم الوشظ واوك فتحى وشينك سكونيله كمك پارسن فلقى تقول وشظت العظم اشظه وشظا اذا كسرت منه قطعة ووشظ بالته دليكينه براغاج پارسى صوقغه دخى ديرلر صاپى اويمسون ديو تقول وشظت الفأس اذا جعلت فى خرتها قطعة خشب تضيقه بها وخرت خاء معجمه نك فتحيله برنسنه نك دليكينه ديرلر الوعظ واوك فتحى وعينك سكونيله نصيحت ايتمك وبرنسنه نك اخرن اكدرمق العظة عينك كسر يله معناه نقول وعظته وعظا وعظة من الباب الثانى لاتعاظ همزه نك وتانك كسر يله نصيحت قبول ايتمك يقال وعظته فاتعظ اذا قبل الموعظة ويقال السعيد من وعظ بغيره والشقى من اتعظ به غيره الوكظ واوك فتحى وكافك سكونيله ايتمك دفع معناسنه يقال وكظه غيره وكظا اذا دفعه المواكظة ابوعبيدك مصنفنده واقع اولان روايتى اوزره ميمك ضمى وكافك فتحيله برنسنه يمداومت ايتمك قال الله تعالى لاما دمت عليه قائما الا مادمت مجاهدا ى مواكظا فصل الياء اليقظ يانك فتحى وقافك ضمى ايله واليقظ يانك فتحى وقافك كسر يله ايكيسيده متنبه اولوب حذراوزره اولان كسنه معناسنه در الايقاظ همزه نك كسرى ومد يله اويانمق وايقاظ توزقوپرمغه دخى ديرلر تقول ايقظت الغبار اذا اثرته التيقظ فتحتينله وقافك ضمى وتشديد يله اويانمق الاستيقاظ همزه نك وتانك كسر يله كذلك اويانمق معناسنه بقال ايقظته من نومه فتيقظ واستيقظ اليقظان يانك فتحى وقافك سكونيله اويانق اولان كسنه اليقظة فتحتينله اسمدر اويانقلق معناسنه يقظة كذلك فتحتينله رجلك اسميدركه اول يقظة بن مره بن كعب دركه جد

اعلالرى فهرد التيقيظ على وزن التكريم
كذلك توزقوپرمق تقول
يقظت الغبار اذا
اثرته

فقد تم الجلد الاول ※ بعون الملك الوهاب ※ من كتاب الفاضل ※ محمد بن مصطفى الوانى ※ المترجم لصحاح الجوهرى ※ للامام العالم ※ الفاضل ※ الكامل ※ المحقق ※ ابى نصر اسمعيل بن حماد الجوهرى ※ على ايدى الضعفاء ※ المأمورين بعمل الطبع ※ بدار الطباعة المعمورة ※ فى غرة رجب المرجب ※ سنه ※ احدى واربعين ※ ومايه والف ※ فى البلدة الطيبة قسطنطنية ※ صانها الله عن الافات ※ والبلية ※

(شكل 20) الصفحة الأخيرة من المجلد الأول من قاموس «وان قولي».

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله وصحبه اجمعين اما بعد اشبو عبد حقير
كثير التقصير المحتاج الى اللطف الربانى محمد بن مصطفى الوانى غفر الله له ولوالديه واحسن اليهما واليه وقتاكه
مدار تحصيل علوم دينيه واساس تكميل احكام شريعت نبويه معرفت اوضاع الفاظ عربيه اولوب بيان
لغته احتياج تام مشاهده قلديسه وكتب لغتدن صحاح جوهرى فحول علما وجمهور فضلا قتنده مقبول
ومسلم اولدوغى متفق عليه اولديسه نته كم بيور لمشدر شعر ليس صحاح الجوهرى الا صحاح الجوهر بل هو بحر
ذهب امواجه من در ولكن عبارت لطيفه سى اسلوب بلغا وطرز عرب عربا اوزره اولمغين نقلنه متصدى
اولان بعض شراح اكر اختيرى واكر صاحب صراح اخذ واداسنده خبط وخطادن خالى اولمديسه ديلدمكه
بعناية الله تعالى وحسن توفيقه ذكر اولنان كتاب مستطابى لسان تركيه تبديل ايدوب ترجمه قيلم تاكه سهل
التعاطى اولوب مبتدى اولنلرك سرعت اذعانته باعث ومستعد اولنلره نم بلا تعبى مورث اوله واسال الله ان
يعصم قدمى من الزيغ والزلل ويحفظ قلمى عن الخطاء والخطل انه ولى العصمة والسداد وعليه التوكل والاعتماد
مقدمة الكتاب اى طالب تحصيل علوم عربيه وراغب تكميل معانى لغويه شويله معلوم اولاكه اشبو مقدمه
فصلين اوزره ترتيب اولنمشدر فصل اول افعال وافعاله متعلق اولن احوال بيانندە در وفصل ثانى اسما وصفاتك
جمى نه وجهله كلورانك بيانندە در الفصل الاول فى بحث الافعال معلوم اولاكه كلام عربده قجن بركلدنك
فعل ماضيسى مفتوح العين اولسه غالب بودركه مضارعى مضموم العين اولور يا خود مكسور العين اولو راكر
مضموم العين اولورسه خالى دكلدركه يا متعدى ويا خود لازم اوله متعدى اولورسه مصدرى غالبا فعل وزنى
اوزره كلور نصر ينصر نصرا كبى واكر لازم اولورسه فعول وزنى اوزره كلور دخل يدخل دخولا كبى واكر
مضارعى مكسور العين اولورسه اكر متعديسه مصدرى كيروفعل وزنى اوزره كلور ضرب يضرب ضربا كبى
واكر لازم ايسه فعول وزنى اوزره كلور جلس يجلس جلوسا كبى واكر ايكسنده دخى مفتوح العين اولورسه
متعديسنده كذلك فعل وزنى اوزره كلور قطع يقطع قطعا كبى لازمنده فعول وزنى اوزره كلور خضع يخضع
خضوعا كبى واكر كلمه نك ماضيسى مكسور العين اولورسه مضارعى مفتوح العين اولوب متعدى اولورسه
مصدرى كير وفعل وزنى اوزره كلور فهم يفهم فهما كبى واكر لازم اولورسه فعل وزنى اوزره كلور فحتينله طرب
طربا كبى وكاه اولوركه سلم سلامة وصدى صدى وزنى اوزره دخى كلور واكر ماضيسى مضموم ايسه مضارعى
دخى مضموم العين اولوب مصدرى يا فعاله وزنى اوزره كلور فتح فائله ظرف ظرافة كبى يا خود فعولة وزنى
اوزره كلور ضم فائله سهل سهولة كبى وماضى ومضارعك مكسور العين اولمسى نادر اولمغين لمك غالبه بناء كان
مصدر بنه تعرض اولنيوب محلى دوشدكجه اشارت اولنمشدر الفصل الثانى فى بحث الاسماء معلوم اولوكه صاحب

(شكل 21) صفحة المقدمة من قاموس «وان قولي».

هكذا استطاع إبراهيم متفرقة وسعيد شلبي تمهيد الطريق لمشروعات أخرى مماثلة بعد تغلبهم على المعوقات القانونية، بحصولهم على موافقة علماء الدين الإسلامي على استخدام فن الطباعة مع بعض الشروط، فظهرت مطابع إسلامية كثيرة بعد قرن من ذلك في العديد من الولايات العثمانية، حيث ساهمت هذه المطابع في ازدهار حركة نشر الكتب، والصحف، والمجلات وكلها ساعدت على نقل الآراء والعلوم الحديثة وفي إحياء كتب التراث وفي إدخال حركية جديدة في الحياة العلمية والأدبية في القرن 13 هـ/19م حتى عرف ذلك العصر بـ «عصر النهضة».

لكن ترجمة قاموس وان قولي إلى اللغة التركية عام 1729م تمثل أول كتاب أخرجته المطبعة، ويتألف هذا القاموس من مجلدين، وبيعت النسخة منه بخمسة وثلاثين قرشًا، وقد طبع في أول القاموس نص الفتوى، والفرمان العالي، والتقارير المحررة على التقرير الذي رفعه سعيد أفندي إلى أصحاب الشأن.

لم يكن دخول فن الطباعة إلى الشرق الأوسط، أو إلى تركيا مظهرًا من مظاهر التقليد الأعمى للحضارة الغربية، كما يحدث الآن، لكن الطباعة ساهمت في إحداث نهضة على المستوى الثقافي، والاجتماعي، والاقتصادي، بل والسياسي. وفي أثناء النهضة الثقافية ظهرت مجموعة من الأدباء خرجوا من عباءة عصر النسخ، وتقدموا صفوف الطبقة المثقفة الجديدة، ومن هؤلاء أحمد فارس الشدياق صاحب مطبعة الجوائب.

مطبعة الجوائب

ولد فارس الشدياق، والذي عرف فيما بعد باسم أحمد فارس أفندي، في لبنان في العقد الأول من القرن التاسع عشر، وينتمي إلى عائلة مارونية مثقفة. نشأ في بيئة أدبية، حيث ورث عن أبيه مكتبة ضخمة حفلت بكتب من شتى الموضوعات.[81]

كان طبيعيًّا أن يسير فارس الشدياق على نفس منوال عائلته؛ فاشتغل منذ صباه بالنسخ حيث نسخ كتبًا مسيحية باللغتين العربية والسريانية. حرص الشدياق منذ بداية

عمله في النسخ على إخراج أعماله بدرجة كبيرة من الإتقان، والدقة، والجمال. فعلى سبيل المثال، كان يختار الأدوات المناسبة للكتابة العربية، فيوصي باستخدام الأقلام القصبية بدلاً من السن المعدني.[82]

ارتبط الشدياق بمطبعة الجمعية التبشيرية للكنيسة الإنجليزية في مالطة، وقد عمل بها طوال ثمانية عشر شهرًا ما بين عامي 1827 و1828م في تجهيز النصوص الدينية للطباعة، ثم توجه إلى مصر حيث شارك في تحرير وإصدار جريدة الوقائع المصرية، وهو بذلك يعتبر من أوائل المشتغلين بالصحافة في مصر والعالم العربي،[83] وهو ما دفعه إلى إصدار جريدته الجوائب في يوم الجمعة 21 ذي القعدة 1277هـ/31 مايو 1861م.[84]

تبحر الشدياق في الحديث عن الطباعة بصفتها من أبرز عوامل التمدن والنهضة حيث وصفها بـ «الصناعة الجليلة»، وهو ما شجعه على تأسيس مطبعة الجوائب في عام 1286هـ/1870م.[85] تميزت مطبوعات «الجوائب» بالإتقان، وجمال الحروف وتنوعها، وحسن الإخراج وجودة الطبع، كما امتازت بالانتقاء الجيد لكتب التراث، والقيمة الأدبية، وكل هذا يرجع إلى طبيعة الشدياق وعمق معرفته. كما تميزت مطبوعات الجوائب بالتجليد الرائع، الذي ما زال محتفظًا برونقه على الرغم من مرور الوقت، كذلك كان الورق المستعمل فيها قويًّا ومن أجود الأنواع في ذلك الوقت، مثل ورق كتاب «الجاسوس على القاموس».[86] (شكلا 22، 23)

تلك هي حال الطباعة في تركيا حتى مطلع القرن التاسع عشر، وهي حال لا تحسد عليها إذا قورنت بحال الطباعة في أوروبا، لاسيما في فرنسا وإيطاليا، ولا شك أن الظروف التي أحاطت بالأتراك حكومة وشعبًا هي التي حالت دون تقدم الطباعة وانتشارها؛ لأن هذا الفن لا ينمو ولا يزدهر إلا في بيئة تتجاوب معه وترحب به.

لقد ساد الجدل والحوار بين المحافظين والمجددين في تركيا حول جدوى المخطوط والكتاب المطبوع، وبين الكتابة بخط اليد والكتابة بحروف المطبعة، وبين مهنة الناسخ والطابع.

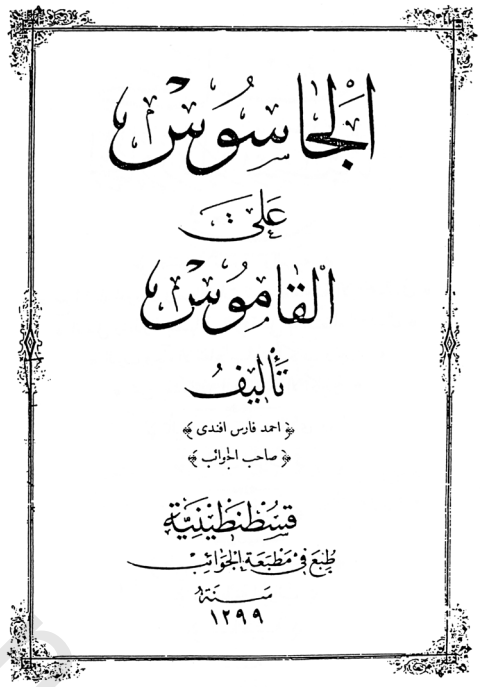
الجاسوس
على
القاموس
تأليف
احمد فارس افندى
صاحب الجوائب
قسطنطينية
طبع فى مطبعة الجوائب
سنة
١٢٩٩

(شكل 22) كتاب الجاسوس على القاموس، طبع في مطبعة الجوائب عام 1299 هـ .

(شكل 23) كتاب الدراسة الأولية في الجغرافيا الطبيعية، طبع في مطبعة الجوائب عام 1301 هـ.

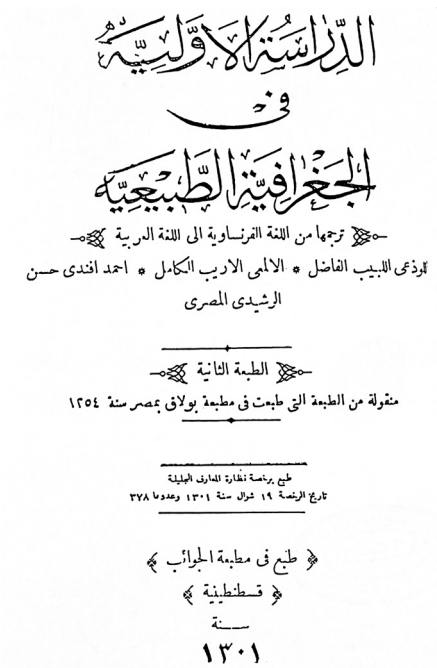
الدراسة الاولية
فى
الجغرافية الطبيعية
ترجمها من اللغة الفرنساوية الى اللغة العربية
لمرزعى اللبيب الفاضل * الالمعى الاريب الكامل * احمد افندى حسن
الرشيدى المصرى
الطبعة الثانية
منقولة من الطبعة التى طبعت فى مطبعة بولاق بمصر سنة ١٢٥٤
طبع برخصة نظارة المعارف الجليلة
تاريخ الرخصة ١٩ شوال سنة ١٣٠١ وعددها ٣٧٨
طبع فى مطبعة الجوائب
قسطنطينية
سنة
١٣٠١

دافع المحافظون عن المخطوط، وذلك لأنهم يرونه كان أمينًا عبر العصور في نقل قيم الإسلام، والعلوم المختلفة كتابيًا، وباعتباره وعاء المعرفة التقليدي، فقد حاز عناية خاصة من طرف الناسخين، والعلماء، والمسلمين. أما الكتاب المطبوع فكان المحافظون يرون فيه تهديدًا للمخطوط فهو قادم من «بلاد غير المسلمين» للقضاء على الكتابة اليدوية الجميلة، وتعويضها بحروف معدنية كبيرة. بالإضافة إلى أن الكتاب المطبوع كان محل ريبة لأنه قد ينسخ كتبًا غير مطابقة للأصل، فيشوهها ويحرفها مما يحدث اضطرابًا وتشويشًا للفكر ثم إن فن الطباعة سيحطم مهنة الناسخين ويحرمهم من موارد رزقهم.

أما المجددون فيرون المخطوط من زاوية أخرى، فهو لم يعد قادرًا على نقل القيم ومكاسب الحضارة الإسلامية، ولا على إنقاذ آلاف المؤلفات العربية المهددة بالفناء بسبب أحداث تاريخية مؤسفة؛ لأن الناسخين كانوا جاهلين ومهملين في مهنتهم وأساءوا كثيرًا إلى ميدان الثقافة والعلوم، بالإضافة إلى بطء عملية النسخ، وأخطاء الكتابة العديدة. من ناحية أخرى كان المخطوط نادرًا وباهظ الثمن، ولهذا لم يكن سعره في متناول الجميع. وهذا ما تسبب إلى حد كبير في نشر الأمية. كذلك وجد المجددون في الكتاب المطبوع وعاء معلومات المستقبل، وهو قادر على مضاهاة الكتابة بخط اليد من حيث الإبداع، والأهم من ذلك هو قدرته العجيبة على نشر العلوم والفنون في أوساط المتعلمين لأن المطبعة تصدر نسخًا كثيرة من الكتاب الواحد، مما يقلل ثمن الكتاب وبالتالي يزداد عدد النسخ المطبوعة والموزعة.[87]

الكتاب العربي المطبوع في بلاد الشام (سوريا ولبنان)

المحاولات الأولى لإنشاء مطابع عربية في بلاد الشام في القرن 11هـ/ 17م[88]

منذ الوهلة الأولى وجد المسيحيون العرب ضالتهم في المطبوعات العربية التي تصدر في أوروبا في تنمية ثقافتهم الدينية، وهذا ما دفعهم في البداية إلى طلب المنشورات الدينية العربية من أوروبا، إلا أنهم اكتشفوا أن هذه الكتب لا تتفق في مضمونها مع النصوص المعتمدة في كنائسهم، إذ طغت عليها النصوص الكاثوليكية التي تنوي كنيسة روما نشرها

في تلك الربوع. ولهذا تصدوا جميعًا لمحاولات «روْمنة» طوائفهم، ولم يتخلف المارونيون رغم ارتباطهم بكنيسة روما عن اتخاذ الموقف نفسه، بل تجاوزوه للقيام بمحاولات لتأسيس مطابع ببلادهم. كانت أولى المحاولات الناجحة نسبيًّا هي تلك التي أفضت إلى ظهور مطبعة قوزحيا سنة 1018 هـ/1610م. أما بقية المحاولات فلم تتجاوز حد المشاريع دون أن تعرف طريقها للإنجاز.

المطبعة المارونية بقوزحية 1018هـ/1610م

اكتسب العلماء المارونيون تجربة كبيرة في مجال النشر بروما وباريس، وفكر أحدهم وهو سركيس الرزي لدى عودته إلى جبل لبنان في تأسيس مطبعة لفائدة أبناء الطائفة. فالمصدر الأساسي لهذه المؤسسة هو الكتاب الوحيد الذي طبع بها سنة 1018هـ/1610م في قرية قوزحيا وهو «سفر المزامير».[89] كان سبب اختيار قوزحيا هو قرب هذا المنسك القريب من طرابلس، حيث يعد مكانًا مقدسًا للمسيحيين. إذ يوجد به دير القديس أنطوان الذي يقصده المسيحيون بأعداد غفيرة، ويشرف على هذا الدير أفراد من عائلة الرزي منذ القرن 9هـ/15م، وهذا ما يفسر اختيار أحد أبناء هذه الأسرة لهذا المكان لتنفيذ مشروعه، بالإضافة إلى ذلك الهدوء والأمن الذي تتميز به هذه القرية الجبلية البعيدة عن أنظار الأتراك العثمانيين.

أما أهم وأول مطبوعات هذه المطبعة هو «سفر المزامير بالسريانية»، ويتضمن مائتين وتسعين صفحة وكل صفحة موزعة على عمودين، واحد مكتوب بالحرف السرياني والآخر بالحرف الكرشوني. أي الأول لنص المزامير باللغة السريانية والثاني للنص العربي. إلا أنه كتب بالحرف الكرشوني.[90]

إلى جانب المطبعة المارونية أسس المسيحيون ثلاث مطابع عربية في بلاد الشام عامة في النصف الأول من القرن 18 م: في حلب في 1118هـ/1706م، وفي الشوير في 1147هـ/1734م، وفي بيروت في 1165هـ/ 1751م.

مطبعة حلب (1118 هـ/ 1706 م- 1123 هـ/ 1711م)

شهدت مدينة حلب السورية مولد أول مطبعة عربية بالمشرق،[91] حيث كان لاختيارها عدة أسباب مهمة:

أولاً: حلب مركز تجاري كبير بالمشرق

تقع مدينة حلب في مفترق عدة طرقات تجارية كبرى، وقد استفادت من هذه الخاصية بعد توسع الفتوحات العثمانية، وسيطرة الأتراك على التجارة بين الدول الإسلامية، فاستقطبت جزءًا مهمًا من التجارة الدولية. بالإضافة إلى انفتاح الموانيء السورية على التجارة البحرية الأوروبية، حيث تمكنت حلب وهي مدينة قارية من جلب التجار الفرنسيين منذ سنة 970هـ/1562م والإنجليز في 991هـ/ 1583م.[92]

لقد أدى هذا الازدهار التجاري إلى دعم الأقليات الدينية بحلب، وبيروت، وطرابلس، وتطور الحركة الأدبية لديهم، مما جعل حلب مركزًا ثقافيًّا مسيحيًّا. ولقد حافظت مدينة حلب على تقاليدها الأدبية بعد الفتوحات العثمانية وطورتها. من ناحية أخرى أثر الأوروبيون على الحركة الفكرية لدى المسيحيين العرب. فإلى جانب التجار الأوروبيين، استقر مبشرون بحلب ارتبطوا بالأقليات المسيحية بهدف تحقيق الاتحاد بين الكنائس الشرقية وروما.[93]

ثانيًا: حلب مركز ثقافي وأدبي

كذلك شهدت مدينة حلب حركة أدبية نشيطة تمثلت في مراجعة وترجمة الكتب الدينية الأرثوذكسية إلى العربية منذ القرن 11هـ/ 17م، وبرز في هذا المقام كل من عبد الكريم كرمي ومكار الثالث، وكلاهما شغل منصب رئيس الأساقفة بحلب. كما تقلدا على التوالي منصب بطريرك كنيسة أنطاكية. تولى عبد الكريم كرمي مراجعة وإصلاح الكتب الدينية، أما مكار الثالث فقد قام بتأليف الكتب وترجمة بعض النصوص من اليونانية إلى العربية، مستعينًا في ذلك بابنه بولس. ويتمثل هدفهما في ترجمة كل الكتب

الدينية إلى العربية بعد أن أصبحت لغة التخاطب والأدب عند أبناء الطائفة بسوريا في الوقت الذي لم تعد السريانية مفهومة إلا في جبل لبنان وبعض القرى المجاورة لدمشق، وقد حرصا على أن تكون الترجمات العربية حسب الأصل اليوناني.[94]

ثالثًا: حلب مركز الديني

في القرن11هـ/17م بلغ عدد سكان مدينة حلب من المسيحيين حوالي أربعين ألفًا، ويشمل هذا العدد كل الطوائف المسيحية الممثلة في المدينة في ذلك الوقت، مثل النساطرة، والملكيين، والمارونيين، إلى جانب الأرثوذكس. وقد لعبت أبروشية حلب دورًا رئيسيًّا في تاريخ الطائفة الأرثوذكسية بداية من القرن 10 هـ/16م، حيث كانت المقر الثاني للبطريرك إلى جانب دمشق.[95]

وهذه هى الأسباب التي جعلت من مدينة حلب مركزًا لإقامة أول مطبعة عربية في الشرق، ويبقى أن نتناول الآن جذور نشأة المطبعة العربية في حلب.

جذور مطبعة حلب: النشر العربي ببوخارست

تأسست مطبعة عربية ببوخارست برومانيا في سنة 1113هـ/1701م بمبادرة وبطلب من الأرثوذكس الملكيين السوريين، الذين أعربوا عن حاجاتهم إلى كتب دينية عربية مطبوعة. وهذه الورشة كانت المصدر المباشر للمطبعة التي أقيمت بعد خمس سنوات فى بحلب. فعلاوة على بعض الآلات والتجهيزات التي نقلت منها إلى بلاد الشام، كان أبرز شخص باشر عملية النشر في بوخارست هو بطريرك أنطاكية أثناسيوس الثالث دباس وهو في الوقت نفسه مؤسس مطبعة حلب، وتكمن أهمية مطبعة بوخارست في أنها أول ورشة داخل الإمبراطورية العثمانية تصدر كتبًا عربية، كما أنها تعكس تحولاً مهمًا في تاريخ الكتاب العربي المطبوع وفي موقف الباب العالي من النشر بالحرف العربي. إذًا يعد تأسيس المطبعة العربية برومانيا تمهيدًا لظهور المطابع العربية المسيحية الثلاث، فى حلب، والشوير، وبيروت.[96]

تاريخ المطبعة العربية ببوخارست

لعب البطريرك أثناسيوس دباس دورًا محوريًّا سواء في تأسيس المطبعة العربي في بوخارست أو في حلب، ولقد شغل أثناسيوس منصب بطريرك كنيسة لمدتين متميزتين. تتلمذ على أيدي اليسوعيين بدمشق قبل أن يعين راهبًا في دير قرب بيت المقدس. ثم أصبح مبشرًا في بلاط حاكم فلاشيا لمدة قصيرة، ثم عين بطريركًا على كنيسة أنطاكية للمرة الأولى، وأعلن في ذلك الوقت عن اعتناقه للكاثوليكية أمام المبشرين الفرنسيسكان في سنة 1099هـ/1687م، ثم تراجع بعد ذلك في سنة 1133هـ/1720م، حيث أصبح أرثوذكسيًا متصلبًا بل إنه اضطهد الحزب الكاثوليكي بحلب ولم يكن موقفه من المذهب الكاثوليكي واضحًا أبدًا طيلة حياته. وبعد تخلي أثناسيوس عن كرسي البطريركية لصالح منافسه كيرلس الخامس، قام بعدة رحلات خاصة إلى إستانبول وبلاد الفلاخ،[97] ففي 1112هـ/1700م تولى في بوخارست إبرام عقد قران ابنة الحاكم قسطنطين برانكوفيانول،[98] واغتنم بعد ذلك فرصة وجوده ببوخارست ليطلب من هذا الأمير الذي كان يرعى الأدب والعلوم طبع كتب دينية عربية.[99] (شكل رقم 24)

تأسيس المطبعة العربية فى حلب

تتفق المصادر التاريخية على أن مؤسس أول مطبعة عربية بالمشرق هو البطريرك أثناسيوس الثالث دباس، وقد ذُكر في أهم مصدر أصلي، وهو الكتاب الثاني الذي طبع في حلب الإنجيل سنة 1118هـ/ 1706م،[100] متحدثًا عن دوره في طباعة هذا الكتاب: «فشرعت حينئذ بطبعه بعد أن حررته على اللغة اليونانية بوضعه جملة فجملة وأصلحت إعرابه لفظة فلفظة».[101]

استطاعت مطبعة حلب أن تنشر ثمانية كتب من بينها طبعتان معادتان، وذلك من سنة 1118هـ/1706م إلى سنة توقفها في 1123هـ/1711م، وهي كلها كتب دينية طُبعت بغرض استخدامها في كنائس الطائفة الأرثوذكسية الملكية.[102] ولم تهدف منشورات حلب إلى إثارة جدال ديني ضد الكاثوليكيين وبقية المذاهب المسيحية الأخرى، فقد

كانت بصفة عامة بعيدة عن الصراعات العقائدية التي أثارها المبشرون والكاثوليكيون العرب بحلب. لم تستمر مسيرة مطبعة حلب طويلاً إذ لم تدم سوى ست سنوات فقط، ولم تكن كافية للحكم على مدى تأثيرها على الحياة الثقافية والدينية لدى المسيحيين بسوريا. إلا أنها قدمت فائدة للمطابع التي ظهرت من بعد، مثل الشوير وبيروت إذ كانت نموذجًا لها، وأعدت مطبعيين وحفارين ذهبوا للعمل بجبل لبنان، وبذلك يكون فن الطباعة قد تركز ببلاد الشام بفضل هذه المطبعة.[103]

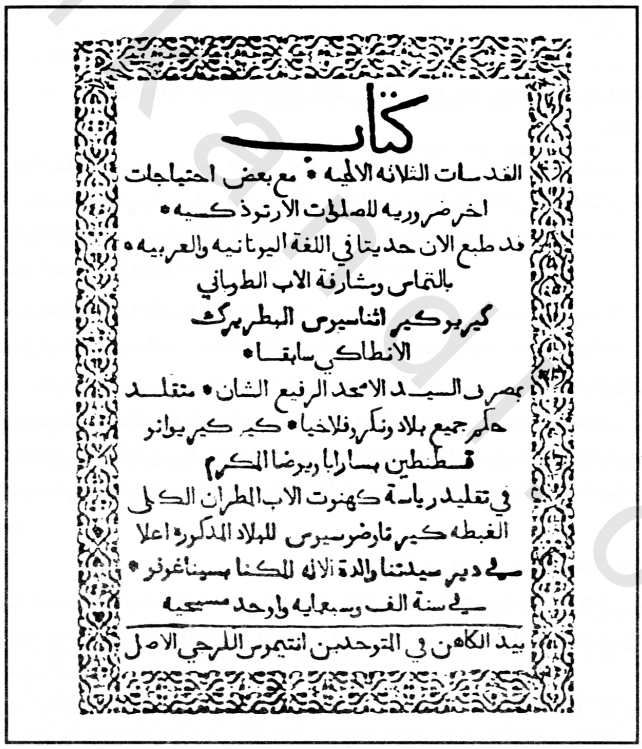
كتاب
القدسات الثلاثه الالهيه • مع بعض احتياجات
اخر ضروريه للصلوات الارتوذكسيه •
قد طبع الان حديثا في اللغة اليرنانيه والعربيه •
بالتماس ومشارفة الاب الطوباني
كير بوكير اثناسيوس البطريرك
الانطاكي سابقا •
بمصر السيد الامجد الرفيع الشان • متقلد
حكم جميع بلاد وثغور فلاخيا • كير كير يوانو
قسطنطين بسارابا ويرضا المكرم
في تقليد رياسة كهنوت الاب المطران الكلي
الغبطه كير تاوضوسيوس للبلاد المذكوره اعلا
في دير سيدتنا والدة الاله المكنا بسيناغوغو •
في سنة الف وسبعمايه واربعد وستين
بيد الكاهن في المتوحدين انتيموس اللرجي الاصل

(شكل 24) كتاب القدسات الثلاثة الإلهية، طبع في مطبعة بوخارست عام 1701م.

مطبعة الشوير 1147هـ/1734م

لم تصدر أى كتب عربية مطبوعة بعد توقف مطبعة حلب عن العمل لمدة ثلاثة وعشرين عامًا، حتى جاء عام 1734م الذى تأسست فيه ثاني المطابع العربية في بلاد الشام، ولكن هذه المرة في الشوير بجبل لبنان وبمبادرة من الملكيين الكاثوليكيين.

نشأة وتأسيس مطبعة الشوير: الصراع بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية

كان لانتشار المذهب الكاثوليكي بسرعة كبيرة في أوساط الأرثوذكس الملكيين في حلب نتيجة للنشاط الكثيف الذي قام به الذي قام به المبشرون الذين أرسلتهم روما وباريس أثره في قيام الأرثوذكس بقيادة البطريرك كيرلس الخامس بشن حملة عنيفة ضد كل مراكز الكاثوليك ببلاد الشام، وكذلك لم يتردد أثناسيوس الثالث الذي اعتلى كرسي البطريركية في 1133هـ/1720م، بعد تراجعه عن الكاثوليكية، فى شن حملة لاضطهاد كل الكاثوليكيين واللاتينيين، وذلك بعد حصوله من السلطان على فرمان في 1125هـ/1722 م، لمنع الأرثوذكس الملكيين من اِتباع مذهب البابا بروما «أو حتى الاتصال بالمبشرين بسوريا». وأمام هذا التهديد لم يجد الكاثوليكيون بدًا من الفرار إلى جبل لبنان المنيع، إلا أنهم لم يكتفوا بالتحصن به، بل عملوا على تنظيم صفوفهم ورد هذه الهجمات بشتى الوسائل ومن بينها استخدام فن الطباعة لنشر المذهب الكاثوليكي.[104] إذًا كان تأسيس مطبعة الشوير سببًا مباشرًا للصراع الديني المذهبي بين الكنيسة الأرثوذكسية، والكنيسة الكاثوليكية، وجهود كل من هاتين الكنيستين في استقطاب مسيحيى الشرق.

عبد الله الزاخر ودوره في تأسيس مطبعة الشوير (1090 هـ/1680م -1160هـ/1748م)

يعتبر عبد الله زكريا الزاخر[105] أبرز مؤسسي مطبعة الشوير، وقد واكب نمو الحزب الكاثوليكي والتطور الذي حصل له في القرن 12 هـ/ 18م. كان والداه أصلاً كاثوليكيين من حماة، التي تعلم فيها العربية العامية، وكانت مهنة أبيه الصياغة، ثم غادر حماة في

1113 هـ/1701م للاستقرار بحلب في صحبة ابن عمه نيقولا الصائغ، حيث درسا الآداب العربية لدى العالم المسلم: الشيخ سليمان الحلبي النحوي. ثم درسا الفلسفة والعلوم الدينية المسيحية لدى الأب يوحنا بجع.[106]

أقيمت المطبعة بدير مار يوحنا بالشوير منذ 1144هـ/1731م قبل أن تستكمل كل معداتها، وكان الزاخر قد أسس المطبعة في أول الأمر في قرية زوق ميكايل حسب حوليات الرهبانية الشويرية قبل أن ينتقل إلى الشوير. اختار عبد الله زاخر الشوير لأنها تضم ديرًا جيدًا أقامته الرهبانية الباسلية الناشئة التي لم يكن رئيسها سوى ابن عمه نيقولا الصائغ، والذي دعاه وشجعه للإقامة بالدير وساعده في عمله. وكذلك فإن موقع الدير في جبل كسروان قرب الخنشارة يجعله بعيدًا عن أنظار السلطات العثمانية. وبطاركة أنطاكية، وقد شجع الزاخر على الإقامة هناك النشاط الأدبي الحثيث الذي عرفه الدير. ولا يزال مبنى المطبعة موجودًا ومحافظًا على شكله الهندسي الأول بعد ترميمه، ويتكون من ثلاث قاعات: واحدة للتنضيد وتضم صناديق الحروف حيث توصل عبد الله إلى إعداد الأحرف العربية،[107] وأخرى للطباعة وتضم آلات الطبع، وثالثة لسبك الرصاص وإعداد الحبر وتضم الأدوات اللازمة لهاتين العمليتين.[108]

أصدرت مطبعة الشوير فيما بين 1147هـ/1734م-1201هـ/1787م، تسعة عشر كتابًا من بينها أحد عشر كتابًا أعيد طبعها. وقد أعيد طبع بعض الكتب مثل: «المزامير» (خمس مرات)، «الرسائل» (ثلاث مرات)، «الأورولوجيون» (مرتين)، «الأكطويخوس» (مرة واحدة). وكان معدل نشر الكتب في تلك المدة هو كتاب واحد لكل سنتين، إلا أن درجة التواتر تختلف فهناك سنوات طبع فيها أكثر من كتابين مثل سنة 1152هـ/1739م التي شهدت صدور ثلاثة كتب «المزامير»، و«احتقار أباطيل العالم»، و«الاقتداء بالمسيح»، أما سنة 1178 هـ/1764م فقد شهدت صدور كتابين «المزامير»، «البرهان الصريح».[109]

لقد حرص عبد الله الزاخر ورؤساء الرهبانية الشويرية على تشجيع القراء وذلك بنشرهم لكتب مكتوبة بخط جميل واضح، وأحيانًا ببعض الكتب الحركات والعلامات

على الحروف العربية. واستعمل الحبر الأحمر والأسود لمزيد من الوضوح، وحرصت المطبعة على إرسال هذه الكتب ووضع الأختام المُذهبة عليها لتعطيها رونقًا وجمالاً أكثر، هذا من حيث الشكل، أما من حيث المحتوى فالنصوص الدينية تمت مراجعتها سواء منها الكتب المقدسة التي وقع تحقيقها حسب الأصل اليوناني أو النصوص الحديثة التي تمت مراجعة ترجمتها، وإصلاح الأخطاء اللغوية والنحوية من قبل بعض الكفاءات. والهدف من ذلك هو دفع الطائفة إلى اعتماد هذه الكتب المطبوعة دون المخطوط منها الذي لم يعد قادرًا على مضاهاتها لا من حيث الشكل ولا من حيث دقة المحتوى.[110] (شكل رقم 25)

مطبعة بيروت

تعد بيروت من المدن التجارية المهمة وقد ازدهرت خاصة في عهد الأمير الدرزي فخر الدين الثاني. وقد استقر بها التجار الأوروبيون وخاصة من البندقية، وأسسوا بها مصارف وقد استغل المارونيون والروم الأرثوذكس هذه الوضعية لتوسيع تجارتهم.[111]

تعتبر المطبعة العربية ببيروت ثالث المطابع التي أسست في بلاد الشام، والثانية في لبنان بعد مطبعة الشوير. وقد تشابهت ظروف نشأة المطبعة العربية ببيروت مع ظروف تأسيس مطبعة حلب، إذ إن بطريرك أنطاكية تحول إلى رومانيا لطبع كتب دينية قبل أن يتوصل إلى تأسيس مطبعة جديدة في جبل لبنان، وذلك بفضل مساعدة بعض الأغنياء ببيروت، وهو البطريرك سلفستروس القبرصي.

البطريرك سلفستروس

خلف البطريرك سلفستروس القبرصي أثناسيوس الثالث على كرسي البطريركية بين سنتي 1137هـ/1724م و1180هـ/1766م، وقد ولد سلفستروس في 1108هـ/1696م بقبرص وتتلمذ على يد أثناسيوس ثم عين راهبًا في دير جبل طوس، قبل أن يصبح بطريركًا لأنطاكية بقرار من بطريرك القسطنطينية، وذلك لمنع ازدياد عدد الملكيين الكاثوليكيين ببلاد الشام. سافر سلفستروس إلى رومانيا في 1157هـ/1744م، حيث مكث بها مدة

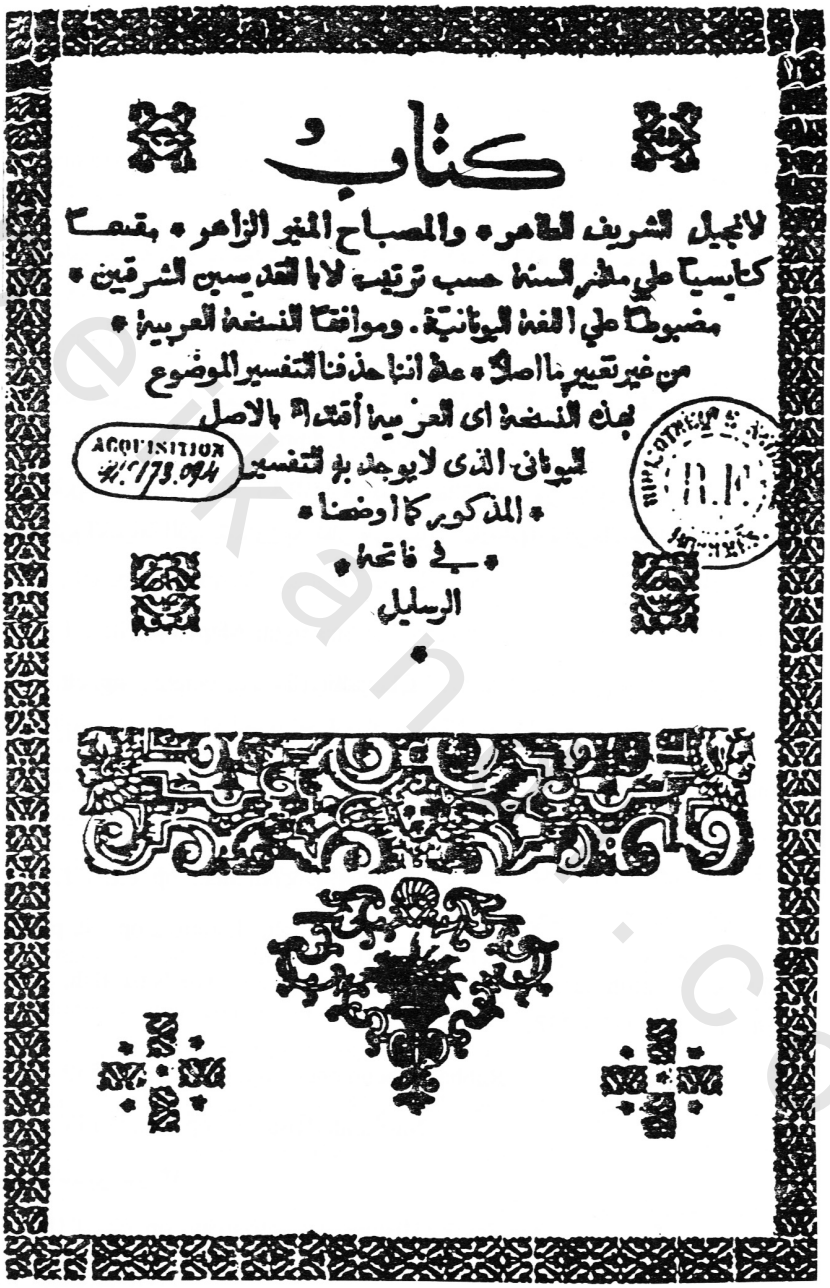
كتاب
لانجيل الشريف الطاهر والمصباح المنير الزاهر مقسما
كتابيا على مدار السنة حسب ترتيب آبائنا القديسين الشرقيين
مضبوطا على اللغة اليونانية. وموافقا النسخة العربية
من غير تغيير ما اصلا عدا اننا حذفنا التفسير الموضوع
بهذه النسخة اى العربية اقتداء بالاصل
اليوناني الذى لايوجد به تفسير
المذكور كما اوضحنا
في فاتحة
الرسليل
ACQUISITION
#: 173.094
BIBLIOTHEQUE

(شكل 25) كتاب الإنجيل المطبوع في مطبعة الشوير عام 1776م.

أربع سنوات واستقر هناك في جاسي قرب بوخارست، وقد لقي ترحيبًا كبيرًا من حاكم بلاد الأمير قسطنطين ابن نيقولا بك، الذي ساعده هناك على طبع كتب عربية.[112]

تأسيس مطبعة القديس جاورجيوس ببيروت

هناك روايتان مختلفتان حول ظروف تأسيس مطبعة بيروت وخاصة حول مؤسسها. والثانية إذا تذكر الرواية الأولى أن مؤسسها هو البطريرك سلفستروس تذكر اسمًا ثانيًا وهو أبو عسكر أحد الروم الأرثوذكس. إذ يبدو أن كلاً من الرجلين قد لعب دورًا معينًا في عملية تأسيس المطبعة؛ فالبطريرك سلفستروس هو الذي أعد المشروع منذ أن كان في بوخارست، ولكنه لم يتمكن من تنفيذه إلا بفضل المساعدة المالية التي قدمها أغنياء الطائفة الأرثوذكسية لبيروت، وخاصة منهم أبو عسكر الذي يتمتع بنفوذ واسع لدى أبناء طائفته وأيضًا لدى السلطات العثمانية. إن دور أغنياء الأرثوذكس في إصدار المنشورات العربية كان كبيرًا، فهم الذين أسهموا كما رأينا في صرف الأموال اللازمة لطبع بعض كتب حلب، ويبدو أن إخوانهم ببيروت قد ساروا على نهجهم وهم الذين استفادوا بدورهم في تحقيق بعض المشاريع الدينية، والاجتماعية، والثقافية لفائدة طائفتهم. ويمكن القول إذًا إن البطريرك سلفستروس هو الذي لعب الدور الأساسي في تأسيس مطبعة بيروت مع الاستفادة من مساعدة أبي عسكر المالية، وكان له من الخبرة العلمية والفنية ومن النفوذ الديني ما يؤهله لتنفيذ المشروع.

لقد كان ظهور المطبعة بداية عهد جديد، عهد يقظة الطائفة الملكية الأرثوذكسية وتدعيم هويتها حسب قول البعض، وعهد نهاية الانشقاق وبداية الاتحاد مع كنيسة روما حسب قول البعض الآخر. إن نتائج نشاط المطابع الثلاث لم تكن على الدرجة نفسها من الأهمية، ذلك أن تأثير ورشتي حلب وبيروت لم تكن على الدرجة الدينية والثقافية، بل كان محدودًا لأنهما لم تعمرا طويلاً إذ توقفتا لبضع سنوات بعد تأسيسهما، فى حين أن مطبعة الشوير تمكنت من التغلب على المصاعب الفنية والمالية وواصلت نشاطها إلى نهاية القرن 13هـ/19م. وحققت بعض النتائج الإيجابية؛ إذ طبعت في ظروف نصف قرن

تسعة وعشرين كتابًا عربيًا مسيحيًا وأسهمت في تنمية الرغبة في المطالعة ووفرت الكتب للمتعلمين بأسعار مناسبة.

وعلى الرغم من محدودية نشاط هذه المطابع، فإنه لا ينبغي إغفال إسهامها في إدخال حراك ثقافي جديدة في الحياة الثقافية. فعملية إقامة مطابع تعد في حد ذاتها تحولا مهمًا في المسار الثقافي للعرب، الذين وقفوا على مزايا هذه الأداة الثقافية الجديدة لمضاعفة إنتاج الكتب، ونشر المعرفة، وتنمية المطالعة، وبذلك يكونون قد وضعوا الركيزة الأساسية لحركة النهضة الأدبية التي شهدها القرن التالي، إذ غرست تقاليد جديدة لدى المتعلمين العرب وتتمثل في التعامل مع الأدوات الثقافية الحديثة التي ستسمح لهم فيما بعد بمواكبة التطور العلمي الذي حققته أوروبا.

المطبعة الأمريكية ببيروت 1834م

تعتبر المطبعة الأمريكية ثاني المطابع التي أنشئت بمدينة بيروت ورابع مطبعة عرفتها لبنان، ونستطيع أن نقول إن فن الطباعة بمعناه الصحيح لم ترسخ أقدامه في لبنان إلا حين قرر المبشرون الأمريكيون نقل مطبعتهم من مالطا إلى بيروت في سنة 1834م، ويعود تاريخ تأسيس تلك المطبعة إلى سنة 1822م، حين اتخذ المبشرون الأمريكيون جزيرة مالطا قاعدة لنشاطهم في الشرق الأدنى، حيث قرر مجلس الإرسالية في أمريكا تأسيس مطبعة في تلك الجزيرة لنشر الكتب للتبشير بالمسيحية حسب المذهب البروتستانتي.

اهتم هؤلاء المبشرون أول ما اهتموا بترجمة نشرات التبشير المكتوبة باللغة الإنجليزية، وأول مطبوع صدر عن مطبعة مالطا الأمريكية كان رسالة عنوانها «السبت»، وتبعتها رسائل أخرى نشرت باللغات الإنجليزية، واليونانية، والإيطالية، والأرمينية، والتركية وأرسلت نسخ منها إلى مصر، وسوريا، واليونان، وقد حالف النجاح تلك المطبوعات، مما شجع أصحاب الشأن على زيادة العناية بمطبعتهم فقرروا توسيعها ومضاعفة الاهتمام بها، ونشرت المطبعة بعد ذلك الكتب المدرسية المختلفة، وفى 8 مايو سنة 1834م نُقل

القسم العربي من المطبعة إلى بيروت حيث تخصص في نشر المطبوعات العربية وتوزيعها على الناطقين بلسان الضاد في أنحاء الشرق العربي.

وصلت المطبعة الأمريكية إلى بيروت في وقت كانت فيه الحالة الثقافية في لبنان شديدة السوء؛ فالأمية متفشية بين السكان، والمدارس نادرة، وإن وجدت فهي عبارة عن كتاتيب صغيرة ملحقة ببعض المساجد؛ والكنائس لا تروى غليلًا، ولم يكن نشاط المطبعة في أول الأمر متواصلًا، فقد توقفت سنة 1835م لعدم وجود الفنيين، وتوقفت مرة أخرى بين سنة 1839م وسنة 1841م بسبب الاضطرابات التي وقعت في بيروت وغيرها من المدن اللبنانية والسورية في أواخر عهد السيادة المصرية على تلك البلاد، فرحل المبشرون الأمريكيون عن بيروت بعد أن أصبحت ميدانًا للحرب، وحين عاد المبشرون الأمريكيون إلى مقرهم ببيروت كانت المطبعة على ما هو عليه لم تمسسها يد.

شعر المبشرون منذ سنة 1836م أن الحروف التي يستعملونها في مطبعتهم رديئة، وكانوا يطلقون عليها اسم «حروف لندن»، فتعهد الدكتور سميث بإصلاحها وسافر إلى ليبزج بعد أن حمل معه نموذجًا من خطوط بعض مشاهير الخطاطين في مصر، والآستانة، والشام.

وتم صنع الحروف العربية الجديدة وطبعت بها أول ما طبعت كتب المطالعة والتعليم المسيحي ومبادئ النحو للشيخ ناصيف اليازجي وغيرها من الكتب، فكانت أول مطبعة تسبك الحرف العربي المُشكَّل المعروف «بالأمريكي».

ثم استمرت المطبعة الأمريكية حتى الثلث الثاني من القرن التاسع عشر تزود لبنان بالكتب المدرسية والعلمية والدينية، ولم يقتصر الأمر على هذا بل أخذت كذلك تُزود المطابع التي أنشئت في ذلك العهد بالحروف، وظلت المطبعة الكاثوليكية المنافسة للأمريكيين ونشاطهم الديني في البلاد تستعمل حروف المطبعة الأمريكية زهاء خمس عشرة سنة.

لقد كانت بدايات الطباعة صعبة ومعقدة؛ بالإضافة إلى أنها لم تكن معلومة النتائج، لكن النهاية كانت خير دليل على بداية اليقظة والإصلاح في المجتمعات الشرقية لتغيير عادات وثقافات ظلت مئات السنين هي مصدر الإلهام الأول لكل سياسات المجتمع وتوجهاته.

obeikandl.com